مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10/ العدد: 3 (2022)، ص: 1150-1170

منهج التفسير المسيحي للعهد القديم وأثره في بناء الفكر العقدي للمسيحية

La méthode de l'interprétation chrétienne de l'Ancien Testament et son impact sur la construction de la pensée doctrinale du christianisme

بريكي فاتح [1]

[1] جامعة أكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)، Fatabri2012@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/08/10 تاريخ القبول: 2022/08/22 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

يتطرق هذا المقال إلى طبيعة المنهج الذي اتبعه مؤسسو المسيحية في قراءتهم وتفسيرهم للعهد القديم، ومدى تأثير ذلك في بنائهم لفكر المسيحية الديني ومقرراتها العقدية ، متمثلة في نصوصها المقدسة ، ويتطرق المقال بداية إلى مفهوم التفسير المسيحي ، ومغزى علم التفسير ، ثم يتناول بالبحث جذور المنهج المتبع في التفسير و مصادره الفكرية التي تمثل المحرك والموجه لعملية التفسير المسيحي للعهد القديم ، كذلك المصادر المنهجية التي تشكل النموذج والمثال الذي احتذته المسيحية في تفسير العهد القديم، ويصل المقال إلى فهم طبيعة هذا المنهج المسيحي وتفكيك آلياته وخطواته، وصولا إلى مرحلة بناء المقررات العقدية المسيحية ونصوصها المقدسة متمثلة في العهد الجديد .

كلمات مفتاحية: تفسير ، المنهج ، العهد القديم ، العهد الجديد، الرمزية .

Abstract:

This article deals with the nature of the method folowed by the founders of christianity in thrir riding and interpretation of the old testament , and the extent of its impact on threir building of christian religious thought and its doctrinal decisions , represented in its sacred texts . in the interpretation and its intelectual sources that represent the engine and guide the

process of christian interpretation of the old testament ,as well as the methodological cources that constitute the model and example that christianity took in the interpretation of the old testament ,holy represented in the new testament.

Keywords: Interpretation, method, old testament, new testament, symbolism.

***المؤلف المرسل:** بريكي فاتح

1.مقدمة: يشكل التفسير المسيحي للعهد القديم منهجا متكاملا عليه بنيت المقررات العقدية المسيحية وتشكلت وفقه نصوصها المقدسة، فمنهج التفسير المسيحي له أثره البارز في بناء صرح المسيحية، و لا يمكن فهم هذا الصرح إلا بفهم المنهج الذي أدى إلى بنائه ولذا يتصدى هذا المقال لتحليل مفهوم التفسير المسيحي للعهد القديم ومعرفة المنهج المتبع في هذا التفسير وتفكيكه إلى عناصره.

2.مفهوم التفسير المسيحي:

إن " كلمة التفسير هي العبارة العربية التي تترجم في الإنجليزية Hermeneutics وهذه الكلمة الإنجليزية ذات أصل يوناني ومصدرها الفعلي Hermeniein والاسم المؤنث منها Hermeneia"(عزيز، 1986، ص 9)، والحق أن التفسير يحمل دلالات ومعاني ذات علاقة مع جذور الكلمات التي تعني: التعبير، الشرح، الترجمة، الفهم، جعل النص مفهوما. في كل هذه الحالات نجد هناك مفاهيم مترادفة وتعني: جعل الشيء مكشوفا أومعلنا، وكذا شرح هذا الشيء بكلمات، أوتحليل محتوى هذا الأمر بكلمات، أوترجمة هذا الأمر بلغة أخرى (انظر: جورج إبراهيم، 2012، ص11).

3.مفهوم علم التفسير المسيحي:

يعتبر" علم التفسير كفرع من العلوم اللاهوتية " (عزيز، 1986، ص 12) ولذا نجد أن " التفسير في معناه اللاهوتي، عمل يشرح جزءا من الكتاب

المقدس ويحلله ويعرضه " (ميشال نجم، 2004، ص 23)، أو هو" شرح وتأويل الكتب المقدسة " (حموي، 1998، ص 150)، ويقصد بالتأويل هنا " مجمل القواعد العامة والخاصة التي تمكن من تحديد معنى الكتاب المقدس الصحيح وتأويله تأويلا صحيحا " (حموي، 1998، ص 134). من هنا كان " التفسير عند الآباء الشراح (المفسرين) توضيح وجلي الغموض" (انظر: جورج عوض إبراهيم، 2012م، ص11)، وللتفسير منهج وعلم قائم بذاته، فيكون "علم التفسير (HERMENUTICS) هو التعبير الذي يشمل: استخراج المعنى مقصد الكاتب، والسياق التطبيقي، أي التفسير الذي يطبِّق النص عبر الحضارات "(أوزبورن، 2014، ص 15)، فهذا العلم "يقدم تصنيفا منطقيا ومنتظما لقوانين التفسير"(أوزبورن، 2014، ص 16).

4. مفهوم المنهج: وأما المنهج فبحسب " موسوعة لالاند " هو:" أساليب وطرق مألوفة لعقل أو لمجموعة عقول، وهي طرق يمكن لحظها وتحديدها بالاستدلال، سواء لتطبيقها لاحقا بنحو أوثق، أو لنقدها وإظهار عدم صلاحها"(لالاند، 2001، مجلد 1، ص 803) ، أوهو" الطريقة المتوخاة في هذا العلم والتي يمكن استجلاؤها بالنظر فيه ودراسته " (سعيد ، 2004، ص 450) ، وهو بشكل عام " الوسيلة المحددة التي توصل إلى غاية معينة " (مجمع اللغة العربية، 1983م، ص 195).

5.جذور التفسير المسيحي ومدرسة الإسكندرية اليهودية

تمتد جذور علم التفسير المسيحي عميقا إلى غاية الفكر الديني اليهودي (انظر: عزيز، 1986، ص 23)، فلقد " كان اليهود منذ زمن طويل قد رأوا أن جميع الخطاب الديني كان تأويليا بشكل أساسي. كانوا قد بحثوا عن معنى جديد للنصوص القديمة أثناء الأزمات (أرمسترنغ، 2010 م، ص143)، لهذا استعمل اليهود منهج التأويل الرمزي، في مقابل التأويل الحرفي (انظر: جورج إبراهيم، 2012، ص43)،

وقد استُخدم المنهج الأول بين يهود فلسطين أما المنهج الثاني فقد ذاع بين يهود الإسكندرية (انظر: عزيز، 1986، ص 26)، وسمي هذا المنهج " المدراش (midrash)"،وهو" منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعمق في بعض آياته وكلماته وصولا الى المعاني الخفية التي قد تصل الى سبعين أحيانا"(أبوالخير، 2010م، ص14 . 15). لقد كان يهود الإسكندرية " يفسرون التوراة، مثلما كان الإغريق يفسرون هوميروس منذ زمن بعيد، وفق المنهج الرمزي " (برهييه، 1988، ج 2، ص 227)، وبالنسبة لهؤلاء الشراح من اليهود" كان هذا هوالطريق الوحيد أمامهم لجعلها مقبولة لدى اليونان " (النشار، 1995، ج1، ص 74).

كان من أشهر أعلام هذه المدرسة الإسكندرية " فيلون الإسكندري (30 ق م – 50 ب م) ، وقد كان يفسر نصوص التوراة وفق توجهه الفلسفي بناء على فكرة أن المعرفة الباطنية هي الحقيقة و المعرفة الظاهرية هي ظلال للحقيقة لا غير (انظر: رستم ، 1990 ، ص 106) ، ويعد فيلون " أبا للتفسير المجازيallegorical للعهد القديم" (انظر: عزيز ، 1986، ص 26)، يقول إميل برهييه عن فيلون: " وكان الأنبياء أنفسهم يرمزون إلى الطرق الثلاث الممكنة لهذه العودة: التمرس بالزهد (يعقوب)، أو التعلم (إبراهيم)، أونعمة عفوية وطبيعية (إسحاق)" (برهييه، 1988، ج 2، ص 227) ، وذهب إلى فكرة اللوغوس الكوني التي طابقها فيلون مع الحكمة أو الصفة الإلهية " (انظر: برهييه، 1988، ج 2، ص 227 -228).

لقد بلغ تأثير فيلون حدا يقول معه "علي سامي النشار":" كان فيلون أحد مؤسسي المسيحية الحقيقيين – أخذ أقواله القديس يوحنا الإنجيلي، وصاغها متلائمة مع عقيدته في المسيح، وقد كان فيلون قريب العهد بيوحنا وثبت أن يوحنا قرأ أعمال فيلون وتأثر بها " (النشار، 1995، ج1،ص 75)، وكان بولس مطلعا على منهج الإسكندرية الرمزي(انظر:عزيز، 1986، 31)، معاصرا لفيلون (عزيز، 1986، 33)، ومستخدما للتوراة السبعينية اليونانية (عزيز، 1986، 33).

6.قانون منهج التفسير المسيحي للعهد القديم :

يفصح بولس عن شعار وقانون المنهج الذي بناه في التفسير المسيحي للعهد القديم والمتمثل في التفريق بين الجسد والروح، فيقول: " فالذي لم تستطعه الشريعة، والجسد قد أعياها، حققه الله بإرسال ابنه في جسد يشبه جسدنا الخاطئ، كفارة للخطيئة. فحكم على الخطيئة في الجسد، ليتم فينا ما تقتضيه الشريعة من البر، نحن الذين لا يسلكون سبيل الجسد، بل سبيل الروح " (الكتاب المقدس الطبعة اليسوعية العهد الجديد، ص 483 رسالة بولس إلى أهل رومية، 8: 3 – 4)، ويضيف قوله:" ونحن نعلم أن إنساننا القديم قد صلب معه ليزول هذا البشر الخاطئ، فلا نظل عبيدا لخطيئة " (الكتاب المقدس الطبعة اليسوعية العهد الجديد، ص 479 رسالة بولس إلى أهل رومية، 6: 6)، ويعتبر أن نصوص العهد القديم وأحكامه إن هي إلا ظلال لحقائق سماوية، فيقول: " ولما كانت الشريعة تشتمل على ظل الخيرات المستقبلة، لا على تجسيد الحقائق، فهي عاجزة أبد الدهور، تلك الذبائح التي تقرب كل سنة على مر الدهور، أن تجعل الذين يتقربون بها كاملين، ولولا ذلك لكف عن تقريبها، لأن الذين يقومون بشعائر العبادة، إذا تمت لهم الطهارة مرة واحدة، لم يبق في ضميرهم شيء من الخطيئة، في حين أن تلك الذبائح ذكرى للخطايا كل سنة، لأن دم الثيران والتيوس لا يمكنه أن يزيل الخطايا" (الكتاب المقدس، 709 رسالة بولس إلى العبرانيين 10:1 – 4).

إن كلام بولس السابق يوضح منهجه في قراءة نصوص العهد القديم، معتبرا إياه نصا مفتوحا على التأويل والتفسير، وليس نصا منغلقا ذا قداسة لا تمس. ولكن التساؤل الوارد هنا: هل هذا المنهج من نسج بولس أم من أفكار غيره ؟

يقول " جورج عوض إبراهيم ":" والحق أن " الأفلاطونية و" فيلون "

اليهودي هما الأساس الفلسفي للمنهج التفسيري للكتاب المقدس لدى مفسري الإسكندرية وخاصة "كليمنضس" و" أوريجينوس "" جورج عوض إبراهيم،2012م، ص48)، فمن المؤكد أن لهذا المنهج جذور في فكر أفلاطون بخصوص نظريته في المثل، حيث يذهب أفلاطون إلى تحديد ما هو حقيقي ثابت وأزلي وما هو زائف وزائل، فيقول بنظريته في المثل:" إن هناك مثلا محددة تشترك فيها كل الأشياء الأخرى "(أفلاطون، المحاورات الكاملة، محاورة بارمنيدس، 1994، ص 19)، ويذهب إلى أن المادة نقص وأن الروح كمال وسمو، فيقول:" إن الروح تشبه الإلهي، أما الجسد فيشبه الفاني" (أفلاطون، محاورات أفلاطون، محاورة فيدون، ص 205)، ويقول: "الروح خفية لا ترى وأنها غير مجسدة، وأنها لذلك خالدة بعد انفصالها عن الجسد وموجودة قبل اتصالها به" (أفلاطون، محاورات أفلاطون، محاورة فيدون،2001،ص 148) ، وليس من سبيل لإدراك الحقائق إلا بإنكار الجسد والتخلص من عوالقه وتعلقه بالروح، فيقول: " بعد أن يكون تخلص من عينيه وأذنيه، بل من كل جسده، الذي لا يرى فيه إلا عنصر تهويش، يعوق الروح عن إدراك المعرفة ما دام متصلا بها " (أفلاطون، محاورات أفلاطون ، محاورة فيدون، ص 172).

إن الناس – بالنسبة لأفلاطون - في إدراكهم الحقائق الأزلية متفاوتون بحسب درجة انفكاكهم عن عوالق الجسد ومتطلباته، فيقول:" دعني الآن أبين إلى أي مدى تكون طبيعتنا متنورة أو مظلمة، انظر: كائنات بشرية أسكنت في كهف تحت الأرض له ممر طويل مفتوح باتجاه النور، وهناك فوقهم وخلفهم نار متأججة من مسافة...وترى رجالا مارين على طول الحائط يحملون كل أنواع الأوعية والتماثيل وأشكال الحيوانات مصنوعة من الخشب والحجر والمواد المتنوعة التي تظهر فوق الحائط...إنهم سجناء مثلنا، هل تعتقد أنهم رأوا أي شيء ما عدا الظلال التي ترميها النار على الجهة المقابلة لحائط الكهف" (أفلاطون، المحاورات

الكاملة، محاورة الجمهورية، 1994، ص 319).

في مثل هذا الوضع نجد أن نهج التفسير عند مؤسسي العهد الجديد يلتزم نهجا فكريا فلسفيا عاما مبناه قائم على فكرة ثنائية الحقيقة والظلال ذات المصدر الأفلاطوني، أو بالأحرى فكرة الجسد والروح، حيث إن هذا الاستقطاب الثنائي سرعان ما يؤدي في النهاية إلى المطابقة بين ثنائيتين هما: جسد – روح وحرف – معنى، ويؤول بالأمر كله إلى إسقاط الثنائية المتقابلة جسد = حرف، لتنتعش على ركامه ثنائية جديدة هي ثنائية روح = معنى. فمن خلال التفريق بين الثنائية حرف وروح ينطلق بولس موظفا منهجه التفسيري، حيث يقول: "تلك ثقتنا بالمسيح عند الله، ولا يعني ذلك أنه بإمكاننا أن ندعي شيئا كأنه منا، فإن إمكاننا من الله، فهوالذي مكننا أن نكون خدم عهد جديد، عهد الروح، لا عهد الحرف، لأن الحرف يميت والروح يحيي. فإذا كانت خدمة الموت المنقوشة حروفها في حجارة قد أعطيت بالمجد، حتى إن بني إسرائيل لم يستطيعوا أن يحدقوا إلى وجه موسى لمجد وجهه، مع أنه مجد زائل، فكيف بالأحرى لا تعطى خدمة الروح بالمجد ؟ " (الكتاب المقدس ، ص 549 ، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس 3: 4-8).

وقد ألهم بذلك رجال الدين المسيحيين، حيث " عمد بعض المفسرين – تحت التأثير الهلينستي – إلى تفسير هذه الثنائية البولسية (الحرف والروح)، فقالوا بمعنيين: واحد روحي، وآخر تاريخي، وذلك باقتباسات من رسائل بولس نفسها: (راجع رومية الإصحاح الخامس)، وأيضا: (1 كور إصحاح 15). وأيضا (1 كور 10)، وذلك لأن بولس الرسول يعتبر خبرة إسرائيل في البرية كنموذج نبوي يعلن ما سيأتي في الزمن الاسكاتولوجي" (حمصي، 1995، ص40) ، كذلك، لقد " أسهم العلامة أوريجنس – من خلال نظريته في التفسير وعلى أساس الثالوث الإنساني (الجسد، النفس، والروح) " (حمصي ، 1995، ص40) .

7.المراحل العملية للمنهج المسيحي في تفسير العهد القديم

1.7. الهدم والإلغاء

يعتمد المنهج المسيحي في تفسير نصوص العهد القديم خطوتين أساسيتين، الأولى تتعلق بهدم النص وتفكيكه والثانية تتعلق بمرحلة بنائه بناء جديدا، في سبيل ذلك " زعم يوستين أن الناموس الطقسي الوارد في العهد القديم لا ينبغي إطاعته بمعناه الحرفي بواسطة أي أحد سوى اليهود" (قراءة العهد القديم وفقا للكنيسة الأولى، هاينه، ص 72). وهنا " ترفض حجة يوستين الناموس باعتباره أصبح باليا بمجيء المسيح الذي افتتح عهدا جديدا. ثم يزعم أيضا بأن المسيح هو العهد الجديد الذي تحدث عنه أنبياء العهد القديم "(قراءة العهد القديم وفقا للكنيسة الأولى، هاينه، ص 68). يقول يوستينوس " أما اليهود فمع أن لديهم كتابات الأنبياء إلا أنهم لا يفهمونها "(يوستينوس، الدفاع الأول، 2012 ، ص 65)،

كذلك، يعمد بولس إلى إلغاء ناموس العهد القديم وظواهر نصوصه، حيث يذهب يوستينوس إلى أن" القراءة المسيحية ترى العهد القديم كسلسلة من النبوات والرموز (types) التي تجد تحقيقها في المسيحية والكنيسة" (قراءة العهد القديم وفقا للكنيسة الأولى، هاينه، ص 71)، أما " الرموز التيبولوجية فهي من عمل الروح القدس الذي يجعل شيئا ما يتم في تاريخ إسرائيل ويكون رمزا لشيء سيحدث لاحقا "(قراءة العهد القديم وفقا للكنيسة الأولى، هاينه، ص 72) . يقول بولس:" وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف " (رومية 7: 6)، إن كلام بولس السابق ينطلق من فكرة الحرف التي تهدم نص العهد القديم وصولا إلى فكرة الروح التي هي مقصد البناء الفكري للمنج التفسيري المسيحي. يقول يوستينوس في هذا السياق:" لكنكم تضلون أنفسكم بتفسيركم الخاطئ للعبارات التي قد تحمل أكثر

من معنى.فعندما يقال إن "ناموس الرب بلا عيب"، أنتم لا تفهمون أن هذا ينطبق على الناموس المزمع أن يأتي بعد موسى بل تعتقدون أنه ينطبق على ناموس موسى ذاته "(الحوار مع تريفون اليهودي، الفصل الرابع والثلاثون، ص 176). ويستدل بولس على إلغاء الناموس اليهودي بقوله:" فالخطيئة كانت في العالم إلى عهد الشريعة، ومع أنه لا تُحسب خطيئة على فاعلها إذا لم تكن هناك شريعة "(الكتاب المقدس، ص477 – 478 ، رسالة بولس إلى أهل رومية 5: 13)، ليخلص إلى قوله:" وبأي شريعة ؟ أبشريعة الأعمال ؟ لا، بل بشريعة الإيمان ونحن نرى أن الإنسان يبرر بالإيمان " (الكتاب المقدس، 473، رسالة بولس إلى أهل رومة 3: 27 – 28). يقول" جرجس صموئيل عازر ":" هل نقض السيد المسيح تعاليم موسى الطقسية أو الوصايا العشر الأدبية ؟ كملها بان نقل الأولى من مجال الظل والإشارة إلى مجال الحقيقة كما زاد الثانية تحصينا وسموا "(عازر، 1989، ص 86-87)

يقول أوريجانوس: " إنها تأتي الساعة حيث العابدون الحقيقيون يعبدون الآب لا في أورشليم، ولا في هذا الجبل، إن الله روح، والذين يعبدونه فبالروح والحق ينبغي أن يعبدوه (يوحنا 4: 21، 23)، لنمعن النظر في العلاقة التي أنشبها هو بين الحق والروح، فقد قابل بين الروح والأجسام، وبين الحق والظل والصورة، فالذين عبدوا في أورشليم عبدوا الله بإسلام ذواتهم لظل الوقائع السماوية وصورتها، لا للحق والروح، كذلك الذين عبدوا على جبل جرزيم " (أوريجانوس، 2003، ص 76) يقول " جورج خوام البولسي " – تعليقا على القول السابق -: " ترجع المقابلة بين الحق والصورة إلى أفلاطون، وعنه أخذ سائر المؤلفين المستقيمي الرأي " (في المبادئ ، أوريجانوس ، تعليقات المترجم ، الهامش، 2003، ص 76).

2.7.إحياء النص و الاتجاهية النبوية

بعد مرحلة هدم النص وإلغائه ، يتم إعحياؤه و توجيهه نحو غاية مسطرة ومحددة ، وهنا " يميل كتبة العهد الجديد إلى حيازة أسلوب في الكتابة مميز، وذلك باستخدامهم العهد القديم في كتابة أسفارهم. فهؤلاء جميعهم يحاولون إرساء تعليمهم على حق الأسفار المقدسة، وإعطاء كلامهم الصبغة القانونية الشرعية، بربطهم ذلك الكلام بالإعلانات الإلهية، لكن لكل كاتب في هذا العمل أسلوبه المميز " (أوزبورن، 2014،ص 385)، فالعهد الجديد نسج بناء على اقتباسات من العهد القديم، وإن" محور الجدل يتناول طبيعة هذه الاقتباسات. ذات طبيعة التحقيق، وتدعى عادة اقتباسات التأمل، لأنها تتأمل في الطبيعة النبوية للتحقيق "(أوزبورن، 2014، ص 386) ، وبناء عليه يسمي النصارى معاني الخطابات والأحداث المنصوص عليها في العهد القديم والملتصقة بأنبيائهم "الاتجاهية النبوية "، إذ يعتقد المسيحيون أن العهد القديم هوتهيئة لحضور الإله وتجسده ومرحلة تمهيدية لمقدم مسيح الرب، " إنه يعني أن نشاط الأنبياء أو بكلام آخر الاتجاهية النبوية(prophetic directionality) كانت في حركة الى الأمام إلى الآتي، إلى يسوع، الأنبياء كانوا يضطلعون بمهمة قيادة الناس نحو يسوع مسيا المنتظر" (هل يلغى العهد القديم منيف حمصي،1995، ص43). وعلى هذا الأساس يصبح العهد القديم كله نصا منفتحا على القراءة والتأويل. وعلى هذا الأساس يقال " إن يسوع المسيح يعتبر هو البداية المركز وغاية التفسير الكتابي، أي هو نفسه " هدف "الكتاب والهدف يتطلب دائما حضور المسيح في مسيرة التدبير الإلهي، والذي صار قمته في التجسد. فالهدف والتجسد يتطابقان أي أن غاية الكتاب هو التجسد. بتطبيق "الهدف" الذي يرمي دائما الى الفائدة فإن التفسير الكتابي هو دائما جوهري وحيوي طالما يهدف الى الحقائق الإلهية الكتابية في الحياة الشخصية للمؤمنين: فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم

المسيح من الأموات بمجد الاب هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة..." (رو4: 6-41) " (جورج إبراهيم ، 2012 م، ص 18). ومن الملاحظ أن في هذا المنهج يمثل "يسوع الناصري روح الكتاب ومحوره الذي يدور عليه، فالعهد القديم يقدم لنا صورته والعهد الجديد يقدم لنا حقيقته" (منسي يوحنا ، 1988 ، ص112).

3.7.التقويم والبناء

بعد أن تهيأ القانون العام والخلفيات الفكرية للتفسير وبعد أن تم غلق النص ظاهريا، وبعد أن فتح من جديد على القراءة والتأويل، فما هي القراءة وما شكلها وما ماهيتها. وما نتائجها العقدية ؟

في الحقيقة لقد تم اللجوء إلى المنهج الرمزي في التأويل والتفسير، إنه الأداة التي استخرجت المعاني الروحية من النصوص الحرفية، بل إن تلك المعاني تم توليدها رمزيا من نصوص العهد القديم. وهنا يجيء الحديث عن العهد المنهج الرمزي المسيحي في التفسير، والذي بنيت عليه المسيحية وتشكلت مقرراتها العقدية وفقه.

1.3.7. تعريف الرمز

الرمز هو" أن يحكى بكلام حرفي يشار به إلى معنى روحي "(بوست، 1901، ج2، ص 493)، والرمز" هو علامة يقوم بها الإنسان أو فكرة أو مفهوم يعبر به عن شيء غير مرئي أو منظور، فالعلم يمثل ويعبر عن الدولة، ورسم السمكة كان يعبر عن المسيحية في العصور المسيحية الأولى، والرمز يختلف عن العلامة، فالعلم حينما يرتفع تكون هناك الأمة وإهانته إهانة لها "(عزيز، 1986، ص 288)، جاء في " قاموس لالند " حول الرمزية:" allégori، تواصل على امتداد حكاية، لوحة، إلخ. وذلك بحيث تتوافق كل عناصر الرامز، توافقا نسقيا، عنصرا عنصرا، مع عناصر المرموز إليه " (لالاند، 2001، مجلد 1، ص 44) ، وعبارة (allégorism) أوالرمزية هي تخطي المعنى الحرفي من النص وللجوء إلى

الرمزية التي قد تكون اصطناعية أحيانا، للاهتداء إلى معنى أشد عمقا وروحانية (انظر: حموي ، 1998، ص 238) .

2.3.7.التفسير الرمزي لنصوص العهد القديم :

يذهب " إرنست رينان " إلى أن التفسير الرمزي المسيحي أملته الظروف التاريخية والفكرية التي حاولت إحداث قطيعة بين القديم والجديد، يقول "رينان": " لقد حاول المسيحيون التخفيف من عبء الناموس، وهكذا صار لديهم نظامهم التفسيري الرمزي الذي حول كل تلك الرموز إلى كتاب للمبادئ الأخلاقية "(RENAN, 1895 ,v5 , p66) ، وقد " شددت التفسيرات على أن العهد القديم، برموزه ونبؤاته بشر بمجيء المسيح على الأرض" (نجم ، 2004 ، ص40 . 41). هكذا اختطت المدرسة الرمزية لنفسها طريقا في تربة الفكر الديني المسيحي، يقول "إدوارد هيريوت":" بعد فيلون سنجد هذا المنهج عند القديس بولس، وأوريجانوس، والغنوصيين"(hériot, 1898 , p74 ، وانظر: الطرزي، 2007، ج3 ص25). وفي ذات السياق، يرصد لنا "أرنست رينان " موقف المسيحية الأولى من نصوص العهد القديم، فيقول: " لقد وضع هؤلاء تفسيرات رمزية على الطريقة المدراشية اليهودية" (RENAN , 1895, v 2, p 99).

في الواقع، نجد ـ مثلا ـ أن " رسالة بولس إلى العبرانيين، من حيث التفسير الرمزي، تشبه إلى حد بعيد التفسير الرمزي لفيلون"(RENAN, 1895 , Introduction ,v3 p Lix) ، مع تعديلات جوهرية، حيث " اعتمد المنهج الرمزي المسيحي على تعديل المنهج الفيلوني بخصوص التفسير الرمزي، فإن كان فيلون يعتبر الحوادث التاريخية وأشخاص هذه الحوادث رموزا بحتة لمعان فلسفية صوفية، فإن المنهج المسيحي الذي طوره بولس يأخذ العصا من الوسط، حيث إنه لا يلغي حقيقة الحوادث التاريخية وحقيقة وقوعها زمانا ومكانا وأشخاصا، لكنه يؤكد على أنها رمزت إلى المسيح كلمة الله، الموعود والمنقذ وابن

الله الفادي بدمه من الخطيئة الكبرى، خطيئة آدم "(جورج إبراهيم 2012م ، ص 59) .

في هذا السياق يقول " جورج بوست ": "يتضح من قول بولس (1 كو10: 4) شرب شعب إسرائيل من الماء الخارج من الصخرة الأمر الواقع تاريخيا يرمز إلى شرب الماء الروحي من الصخرة التي هي المسيح " (بوست، 1901 ، ج 2، ص 493). فهو مثلا" أكد على الحوادث التاريخية وعلى الأشخاص التاريخيين مثل سارة، هاجر وآدم وحواء والجنة والفردوس،والصخرة التي أخرجت ماء في البرية...إلخ" (جورج إبراهيم 2012م ، ص 51 - 52). ولم يلغها تماما، فمنهجه منهج فيلوني معدل، ويبدوأن بولس لم يرد القطيعة التامة تاريخيا مع العهد القديم. كذلك، نجد أن " الرسالة إلى العبرانيين دائمة الاقتباس من العهد القديم بمنهج تفسيري دقيق ورمزي، يشبه الأسلوب اليوناني" (, RENAN INTRODUCTION, V 4 p. XXI, 1895)، ذلك الأسلوب الذي استخدمته الأفلاطونية في تفسر الأساطير اليونانية (انظر: النشار، 1995، ج1، ص 74) ، وهوذات المنهج الذي استخدمه الرواقيون أيضا (انظر: جورج إبراهيم ،2012م، ص 42 – 43).

إن " ما شعر به الجيل الاول من المسيحيين هوضرورة اثبات الطبيعة المسيانية للمسيح ضد اليهود على أساس تثبيت نبؤات العهد القديم " (نجم ، 2004 ، ص40) ، و" في هذا المناخ يصوغ بولس فكرته القائلة إن المسيح يمثل مفتاح التفسير الروحي للعهد القديم الذي فهمه اليهود فهما حرفيا" (نجم ، 2004 ، ص40) ، ولقد " وجد الرمزيون (allegorists) في رسائل بولس الرسول ما يدعم نزعتهم التأويلية في التفسير" (حمصي، 1995، ص40) ، وكان" ذلك باقتباس القول التالي للرسول:"...وختان القلب بالروح لا بالكتاب هوالختان " (رومية 2: 29). وأيضا:" وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات

الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف " (رومية 7: 6). وأيضا:"...ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي: (2 كور 3: 3) " (حمصي، 1995، ص40).

هكذا، وعلى تلك الأسس السابقة، سيعاد بناء نص العهد القديم بناء جديدا وذا عهد وفكر جديدين، وذلك وفق قراءة رمزية لذلك العهد القديم، يقول " ملاك محارب ": " واقتبس رسل ربنا يسوع المسيح اقتباسات عديدة من العهد القديم في البشائر الأربعة والرسائل. واستشهد بولس الرسول في رسائله جميعها بالعهد القديم ما عدا رسالته القصيرة إلى فليمون " (محارب، 1997، ص13).

نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين": " ولما كانت الشريعة تشتمل على ظل الخيرات المستقبلة، لا على تجسيد الحقائق، فهي عاجزة أبد الدهور، بتلك الذبائح التي تقرب كل سنة على مر الدهور، أن نجعل الذين يتقربون بها كاملين " (الكتاب المقدس ، ص 709، رسالة بولس إلى العبرانيين 10: 1 . 3). يقول بولس أيضا:" فلو كان يسوع في الأرض لما جعل كاهنا، لأن هناك من يقرب القرابين وفقا للشريعة، غير أن عبادة هؤلاء عبادة صورة وظل للحقائق السماوية" (الكتاب المقدس ، ص 705 – 706 رسالة بولس إلى العبرانيين 8: 4 . 5). نتيجة للكلام السابق أسس بولس لعقيدة النصارى بتجسد الكلمة في جسد المسيح وبالفداء عن طريق الصلب والقيامة،حيث " بدأت عبادة يسوع في المسيحية في وقت مبكر جدا. ففي نشيد يذكره القديس بولس، يقدم يسوع المصلوب والممجد كمن يعبده الكون كله، ويسمى " ربا " " تمجيدا لله الآب " (فيليبي 2: 10 – 11)"(يسوع ملامح من شخصيته ، جيرالد أوكلنز ، ترجمة صلاح أبوجودة ، دار المشرق، ط1، بيروت ، 2010، ص 88).

إن بولس يضعنا أمام منهج التفسير الرمزي المنطلق من التفريق بين الحرف والروح، يقول بولس: "تلك ثقتنا بالمسيح عند الله، ولا يعني ذلك أنه

بإمكاننا أن ندعي شيئا كأنه منا،فإن إمكاننا من الله، فهوالذي مكننا أن نكون خدم عهد جديد، عهد الروح، لا عهد الحرف " (الكتاب المقدس، ص 549، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس 3: 4-6) ، وانطلاقا من قانونه في التفسير، يضرب لنا مثالا على منهجه فيقول: " أما تسمعون الشريعة، فقد ورد في الكتاب أن إبراهيم رزق ابنين أحدهما من الأَمة والآخر من الحرة، فقد وُلد بفضل الموعد. وفي ذلك رمز، لأن هاتين المرأتين هما العهدان" (الكتاب المقدس، ص 580، رسالة بولس إلى أهل غلاطية 4: 21 – 31) ، إن بولس يقر بالخبر التاريخي كما وقع، ولكنه يجد له تأويلا باعتباره يرمز للمسيح وعهده الجديد. يضيف بولس مستخدما التفسير الرمزي: " أحدهما من طور سيناء يلد للعبودية وهو هاجر، وهاجر تقابل أورشليم هذا الدهر، فهي في العبودية مع أولادها. أما أورشليم العليا فحرة وهي أمنا، فقد ورد في الكتاب: " افرحي أيتها التي لم تتمخض: إن أولاد المهجورة أكثر عددا من أولاد ذات البعل " (الكتاب المقدس، ص 580 ، رسالة بولس إلى أهل غلاطية 4: 21 – 31) .

هذا، ومن باب التفسير الرمزي كذلك، تفسير يوحنا لنص أشعياء التالي: " فكما أن شابا يتزوج بكرا كذلك بنوك يتزوجونك وكسرور العريس بالعروس يُسر بك إلهك. على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسا " (الكتاب المقدس، ص 1626، سفر أشعياء 62: 5 – 6) ، حيث جاء في إنجيل يوحنا على لسان "يوحنا المعمدان": "أنتم بأنفسكم تشهدون لي بأني قلت إني لست المسيح، بل مرسل قدامه.من كان له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذي يقف يستمع إليه فإنه يفرح أشد الفرح لصوت العريس. فهو ذا فرحي قد تم" (الكتاب المقدس ، ص 297، إنجيل يوحنا 5: 29)، يقول جماعة الرهبانية اليسوعية تعليقا على النص السابق: " في العهد القديم، يظهر إسرائيل أحيانا بصورة عروس الرب، أما في العهد الجديد، فالكنيسة هي عروس المسيح " (الكتاب المقدس، جماعة

الرهبانية اليسوعية، تعليقات على إنجيل يوحنا، ص 297) ، ويقول إبراهيم سعيد:" من له العروس فهو العريس. هذه استعارة استقاها المعمدان من كتابات العهد القديم (أشعياء 62: 5، مزمور 45: 9 و14) للتعبير عن الصلة التي تربط المسيح بكنيسته، وبها قرر نسبته إلى المسيح، فالمسيح عريس والمعمدان صديق العريس" (سعيد، 1988، القاهرة، ص 132) .

لقد " استوفى القديس متى في إنجيله كل ماجاء عن المسيح والمسيا في العهد القديم حتى إنه يمكن أن يعطى لهذا الإنجيل عنوانا آخر، وهو:"المسيح في العهد القديم "، ويميل العلماء المحدثون إلى اعتبار هذا الإنجيل أنه " مدراش مسيحي" (العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية، رهبان دير القديس أنبا مقار، 1994 ، ص38) ، وليس من الغريب أن يكون متى نفسه خريجا من مدرسة الرابيين اليهود المعتمدة على نمط التفسيرالرمزي، لقد " كان لدى القديس متى تلاميذ من شيوخ اليهود، متفقهين في اللغة اليونانية، وفي أسفار العهد القديم اليوناني، يتداولون معا متأملين أحداث حياة السيد المسيح ومقابلتها مع ما جاء في العهد القديم، ليكتشفوا في النهاية أنه ليست النبوات فقط هي التي تتكلم عن كل تفاصيل حياته، بل حتى الأحداث التاريخية لشعب إسرائيل كانت ترمز لهذا المسيا المرسل لخلاص إسرائيل والعالم من عبودية الخطيئة. مثلا، يقول هوشع النبي عن إسرائيل:" لما كان إسرائيل غلاما (أوطفلا)أحببته، ومن مصر دعوت ابني " (هوشع 11: 1) " (العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية، رهبان دير القديس أنبا مقار، 1994 ، ص38 – 39) ، نقرأ النص التالي في سفر هوشع من العهد القديم: " لما كان إسرائيل صبيا أحببته ومن مصر دعوت ابني"(الكتاب المقدس، ص 1912، سفر هوشع 11: 1)، فبالرغم من أن " هوشع لم يكن يفتكر في يسوع، بل في الرجوع من السبي، لكن متى رأى أن يسوع يعيش مجددا الرجوع من السبي، وأن متى كان مدركا سياق هوشع، فأراد لقارئيه أن يكونوا أيضا

مدركين متى يعدل في السياق" (أوزبورن، 2014 ، ص 384). لقد " رأى متى في يسوع تحقيقا لما كان هوشع في صدد وصفه"(أوزبورن، 2014 ، ص 384).إن منطوق النص يصرح بأنه يتعلق بشعب إسرائيل، لكن يجد متى معنى آخر رمزيا ومجازيا، يقول متى في إنجيله:" تراءى ملاك الرب ليوسف في الحلم وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واهرب إلى مصر وأقم هناك حتى أُعْلِمَك، لأن هيرودس سيبحث عن الطفل ليهلكه، فقال وأخذ الطفل وأمه ليلا ولجأ إلى مصر. فأقام هناك إلى وفاة هيرودس، ليتم ما قال الرب على لسان النبي:" من مصر دعوت ابني" (الكتاب المقدس، ص 42، إنجيل متى 2: 13 – 15) .

في ذات السياق، يقول أرنست رينان:" لقد دارت حول طفولة المسيح أكثر من حكاية واحدة بهدف عرض سيرته لإثبات تحقق فكرة المسيح الموعود فيه. أو تلك التنبؤات التي فسرت تفسيرا مجازيا يتوافق مع شخص المسيح "(RENAN 1895 V 1 ,p 251 ,)، ولقد" كان كتبة العهد الجديد يتطلعون إلى العهد القديم عبر منظار مجيء المسيح، لكنهم كانوا أيضا يدركون سياق العهد القديم، ويغيرون فيه في ضوء مجيء المسيح، والمفتاح هو النمط المتوازي، فيسوع، بوصفه مسيا، يعيش مجددا ليس حرفية النبوات فحسب، بل أيضا تاريخ الشعب اليهودي " (أوزبورن، 2014 ، ص 384)، وذلك من خلال التفسير الرمزي المجازي.

8.خاتمة:

يتألف الكتاب المقدس المسيحي من العهد القديم و العهد الجديد ، و قد حسمت المسيحية موقفها من العهد القديم باعتباره مشتركا بينها و بين اليهودية ، و لكي يتسنى للمسيحية بناء عقائدها و نصوصها المقدسة اتبعت نهجا متفردا في فهم نصوص العهد القديم .

يعتبر التفسير المسيحي علما قائما بذاته و ينتمي إلى علم اللاهوت المسيحي ، لأهميته وخطورته ، و قد كان له صلة بتفسير مدرسة الإسكندرية اليهودية القريبة من الفكر الهليني اليوناني ، ولذا لا يمكن إنكار دور فكر فيلون ومنهجه في تفسير و تأويل العهد القديم. إن لمنهج التفسير المسيحي آليات ومنطلقات و له قانون يسير وفقه، وعماد هذا القانون فكرة أو ثنائية الحقيقة و ظلالها أو ثنائية الروح والجسد، وهي فكرة أفلاطونية بنى عليها آباء المسيحية منهجهم في تفسير العهد القديم .

لقد كان منهج المسيحية في التفسير مركبا و مبنيا على مراحل تبتدئ بإلغاء النص أو الحرف ثم يتم إحياؤه و توجيهه ، ثم بناؤه مرة أخرى بإعطائه معاني جديدة تتلاءم مع عهد جديد يسمى الدين المسيحي .

9.قائمة المراجع:

أبو الخير، عبد المسيح بسيط.(2010). مسيح النبوات وليس مسيح الأساطير، دراسة علمية لنبوات العهد القديم كما فسرها المسيح ورسله وقدماء علماء اليهود، ط 1 ،مصر:مطبعة بيت مدارس الأحد.

أرمسترنغ ،كارن.(2010). مسعى البشرية الأزلي الله لماذا، ترجمة فاطمة نصر وهبة محمود عارف ، ط 1، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إسحاق، إميل.(1997). الكتاب المقدس أسلوب تفسيره السليم وفقا لفكر الآباء القويم، ط 1 ، القاهرة : مطبعة الأنبا رويس الأوفست.

الإسكندري، كيرلس.(2003). الرد على يوليانوس، ترجمة حنا الفاخوري، ط1، بيروت: منشورات المكتبة البولسية.

الإسكندري، كيرلُّس.(2003). كتاب الرد على يوليانس، ط 1، لبنان: منشورات المكتبة البولسة.

أفلاطون.(1994). المحاورات الكاملة، ترجمة شوقي داود تمراز، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

أفلاطون.(2001). محاورات أفلاطون، ترجمة زكي نجيب محمود ، مصر: مكتبة الأسرة.

الأهواني، أحمد فؤد أفلاطون.(1991). ط4 ، مصر: دار المعارف.

أوريجانوس.(2003). في المبادئ ، ترجمة جورج خوام البولسي، بيروت: منشورات المكتبة البولسة.

أوزبورن، غرانت .(2014).تفسير الكتاب المقدس في أبعاده المتهددة، ط 1 ، لبنان: دار منهل الحياة ،

أوكلنز، جيرالد(2010). يسوع ملامح من شخصيته، ترجمة صلاح أبوجودة، ط 1، بيروت: دار المشرق.

برهييه إميل.(1988). تاريخ الفلسفة، الفلسفة الهلنستية والرومانية، ترجمة جورج طرابيشي، ط 2، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر،

بوست، جورج.(1901). قاموس الكتاب المقدس، بيروت: المطبعة الأمريكانية.

جماعة الرهبانية اليسوعية.(1994). الكتاب المقدس، ط 3 ، بيروت: دار المشرق.

حمصي، منيف.(1995). هل يلغى العهد القديم، ط 1،منشورات النور.

حموي صبحي.(1998). معجم الإيمان المسيحي، ط 2 ، بيروت: دار المشرق .

ديورانت، ول وايريل.(1988). قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت – لبنان: دار الجيل، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

رستم، أسد.(1990). آباء الكنيسة ، ط 2 ، لبنان: منشورات المكتبة البولسية.

رهبان دير القديس أنبا مقار.(1994). العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية، ط1، القاهرة: دار مجلة مرقس.

سعيد ،إبراهيم.(1988). شرح بشارة يوحنا،القس ، ط 4،القاهرة:دار الثقافة.

صموئيل عازر، جرجس.(1989). المرشد الأمين، مصر :مكتبة مار جرجس.

الطرزي، إبراهيم سالم(2007). أبوكريفا العهد الجديد، ط1، دار النشر غير محددة.

فهيم، عزيز.(1986). علم التفسير ، القاهرة :دار الثقافة المسيحية.

عوض إبراهيم، جورج.(2012). تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، ط 1، مصر: مطبعة جي سي سنتر،

لالاند، أندريه.(2001). موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، ،ط 2، بيروت – باريس: منشورات عويدات.

مجمع اللغة العربية.(1983). المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

محارب، ملاك.(1997). دليل العهد القديم، مصر :مكتب النسر للطباعة.

ميشال ،نجم.(2004). التفسير المسيحي القديم ، العهد الجديد ، الإنجيل كما دونه متى، لبنان: منشورات جامعة البلمند.

النشار، علي سامي.(1995). نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط 9 ، القاهرة: دار المعارف.

يوحنا، منسي.(1988). النور الباهر في الدليل إلى الكتاب المقدس، القاهرة: مكتبة المحبة.

يوستينوس.(2012). الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى، ترجمة آمال فؤاد، ط1، مصر: دار باناريون.

hériot , edouard.(1898). Philon le juif essai sur l'école juive d'alexendrie , paris: librairie hachette.

Renan ,ernest.(1895). histoire des origines du christianisme , paris :edition24, calmann levy editeurs.

Sénèque.(1914). œuvres complets de seneque, v2 , paris: librairie hachette.